

NICOLA A. ZIADEN
American University of Beirut
Beirut, Lebanon

CA: AUB

492.7

F847hA

C.1

حروف الرجال العربية

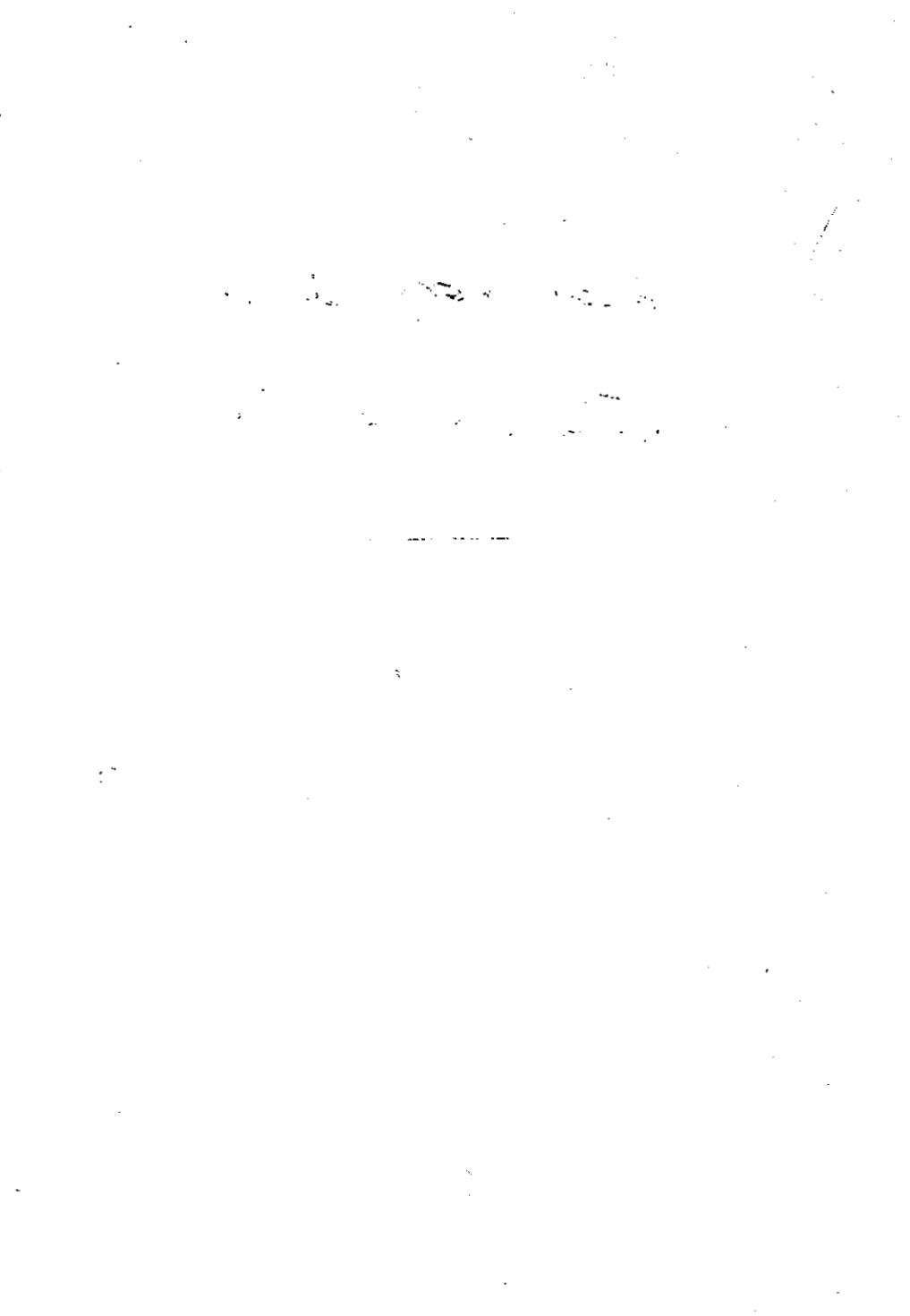
نشأتها ، تطورها ، مشاكلها

ابنیس فربغ

عن مجلة «الابحاث»

السنة الخامسة ، الجزء الاول

من ١ - ٣٢



الإنجليز

مجلة تصدرها انجمنة الأدب والآداب في بيروت

السنة ٥ - العدد ١ رئيس التحرير: سعيد خاده اداره سنة ١٩٥٢

هروف الرباود العربية نشأتها، تطورها، مساكلها

وطئة

ليس لصورة الحرف قدسية ، إنما القدسية لما يرمز إليه الحرف : الفكر. وليس للألمة في تطور الحرف يد ، إنما هو رمز اعتباطي "أخذه المتبدلون عن الوثنين ضرورة لتدوين كلامهم . والكتابة ، كما يقول ابن خلدون ، داخلة في « عدد الصنائع الإنسانية » .

وليس لامة ان تدعى الفضل في خلق فكرة الكتابة ، فان كثرة الشعوب في تقدمها الحضاري ، منذ العصور الحجرية ، شعرت بضرورة وضع نظام لتدوين الفِكَر . وقصة الكتابة قصة تطور مستمر من تصوير جميل (١) ، احياناً ، الى

(١) كان الخط المصري القديم (الميدروغلوبي) في طوره الاول صوراً جلية فنية يقوم برسها كهنة وقانون ، ولكن عندما عالجت هذه الصور ايدي العامة اخذ الخط بالتشوه والابتعاد عن الفن . ولم يكن الخط الفينيقي في اول عهده ثام الصنعة ولكن عندما اقتبس الاغريق ادخلوا عليه تحسينات عديدة .

رسوم قبيحة الشكل ، او على عكس هذا ، من رسوم قبيحة الى حروف جميلة في اشكالها وتناسبها .

والخط العربي من الخطوط المعقدة ، يكثر فيه الابهام وتشيع في اشكاله الفوضى . وقد شعر العرب بهذه المشاكل منذ صدر الاسلام فتعهدوا بالتحسين ، ولا سيما بعد ان نشأت المدرسة . ولكن رغم الاصلاح المتواصل الذي طرأ عليه ، يشعر مفكرو العرب اليوم ان هذا الخط لا يسهل على القارئ القراءة ، ولا يعينه في تقبیح الفكرة التي يقرأها الا بعد مران قاسي طويل . ولذا اعني بجمع فؤاد الاول للغة العربية بتبسيط الخط وقد وضع جائزة كبيرة لمن يتقدم اليه بخط توفر فيه البساطة والجمال وسهولة الطبع .

والغرض من هذه العجالة ان نلقي نظرة عامة سريعة على تطور الخط العربي ومشاكله ، فتنقل الى القارئ العربي بعض ما توصل اليه الغرب في هذا الحقل ، ثم نذكر شيئاً عن الحلول المقترحة لتبسيطه . ولا ينتظرون القارئ ، من انت نلم بالموضوع من جميع اطرافه ، ولا ان تُسْهِب ، انا غرضنا إثارة الموضوع على صعيد العامة من الشعب ، لاننا نلاحظ في جميع قضيائنا الفكرية انها تثار على صعيد الخلاصة فتحبس لها الناس زمناً ، ثم لا تلبث ان يتناسها الناس ، وتتسرب الامور في بحراها القديم .

الخط العربي من اكبر مشاكل اللغة العربية . والعرب التواقون اليوم لمواكبة الحياة يرون في خطهم اكبر عائق في سبيل القضاء على الامية ونشر الثقافة بين الجماهير . وقد آن لهم ان يعيدوا النظر فيه . وانا اعلم ان القضية اخطر من ان يتناولها فرد ، او ان تحكم فيها فئة من الناس . القضية تهم العرب جميعين ، ولذا يجب ان نشارك جميعاً في الرأي لتكوين رأياً عاماً منوراً يساعد الهيئة التي سيكون لها الكلمة الفاصلة في هذه القضية .

الكتابة ظاهرة انسانية عامة ، وهي قديمة العهد جأ إليها الانسات منذ ان اصبح انساناً . وقد مرت في اطوار(١) رئيسية خمسة :

(١) الطور الصوري ، او الطور المادي عندما كانت ترسم المادة عيناً .

فإذا اراد الانسان القديم ان يرسل الى صديقه رسالة يقول فيها انه ذاهب الى صيد السمك فلم يكن عليه الا ان يومم صورة رجل بيده قصبة في رأسها صن منجهاً نحو بحيرة فيها سمك . وهو طور مرت فيه جميع الشعوب القديمة المتحضره ، وهو الطور الذي لا تزال اقوام متأخرة تعيش فيه .

(ب) الطور الرمزي ، عندما اصبحت الصورة ترمز الى فحكة او امر

معنوي يصعب تصويره . كيف يتأقى للرجل القديم ان يصور النهار ؟ هذه مشكلة صعبة ، ولكنه توصل اخيراً الى استنباط صور ترمز الى المعنى . صورة الشمس المنتبعث منها الضياء تصلح ان تكون رمزاً للنهار وللضياء وللمعان . وكيف يمثل الجوع ؟ برسم رجل بائس بيده في فمه . وكيف يمثل الكفارة ؟ بطبق عليه خبز او تقدمة اخرى . ولا يزال شيء من هذا في الكتب التي هي من نوع «الدليل» فاننا نشير الى وجود مرکز للبريد والبرق بصورة اعمدة التلغراف وخطوطه ، ونشير الى المطعم بملعقة وسکين وکأس ، والبنك بصورة تحويل مالي .

(ج) الطور المقطعي ، وهو بالفعل بده الكتابة المجانية . في هذا الطور

تمثل الصورة مقطعاً يمكن استخدامه في تهجئة كلمات لا علاقة لها بالصورة ذاتها ، كما كان الامر في الكتابة البابلية والمصرية القديمة . مثلاً ، لو افترضنا افتراضاً

(١) عندما تكلم في قضيابا الاجتاع عن «اطوار» لا نعني ان الطور يبدأ في سنة معينة وينتهي في سنة مميتة ليبدأ طور ثان . هذا يخالف لسن التطور الاجتماعي . كثيراً ما يكون الطور السابق داخلاً في الطور اللاحق ، وكثيراً ما يجد الطورين او الثلاثة جنباً الى جنب في حلبة واحدة ، كما حدث في تطور الكتابة عند المصريين القدماء كما سترى .

بعيداً ان كاتباً مصرياً او بابلياً اراد ان يكتب كلمات تبدأ بالقطع «يد» (كما في يَدْهَسْ وَيَدْهُرْ) فانه كان يصور صورة يد ويطلب الى القارئ ان ينسى ان هذه يد بل هي مقطع هجائي . ثم انه كان يرسم صوراً اخرى قيمتها الصوتية تعادل المقطع الاخرى التي يريدها . وقد وفق المؤرخ الاميركي بروستد (Breasted) في توضيح هذا الامر عندما مثلَ عليه بكلمة belief ، فلو ان المصري القديم اراد ان يكتب هذه الكلمة فانه كان يرسم صورة نحلة (bee) وصورة ورقة (leaf) (١) .

(د) الطور الصوتي او الاكروفوني (٢) وفيه يلجأ الكاتب الى تهجئة الكلمات باستخدامه صور اشياء يتالف من هجاءها الاول لفظ الكلمة المعنية . مثلاً اذا اراد ان يكتب كلمة «زيت» فانه يرسم رسماً يبدأ بالزاي (زهرة او زبقة) وآخر يبدأ بالياء (يد) وآخر يبدأ بالتاء (تينة) .

من سوء حظ هذا الكاهن او (الكهنة) الذي ابتدع هذه الطريقة ، التي ادت فيها الى وضع حروف المجاء الصرف ، ان التاريخ لم يُبق لنا اسمه ، وإلا لكان عن جداره في عداد المشاهير في تاريخ المدينة . لانه اذا كانت حروف المجاء الفينيقية قد وضعت على هذا المبدأ – وليس هناك ما يشير الى عكس هذا – فانهم ، الفينيقيين ، يكونون قد اقتبسوا الفكرة عن المصريين (٣) . غير ان المصريين لم يستغلوا هذا الاكتشاف ، ولم يستطيعوا تجربتها ولا

(١) في هذا النوع من الكتابة يعتبر اللفظ فقط ، لا طريقة الكتابة التاريخية للكلمة .

(٢) Acrophony وهي كلمة يونانية مؤلفة من Acros اليد ، ومن Phone الصوت ويشيرون بها الى مبدأ اتخاذ الصورة كرمز للمجاء الاول من اسم الصورة . اي صورة الكلب ترمز الى كل صورة غزال الى غ ، على نحو ما يملئون الصغار اليوم حروف المجاء ، فيقولون لهم ب = بطة... الخ .

(٣) استعمل المصري القديم في كتابته قرابة ٢٤ صورة اكثراً منها يتالف من هجاء واحد ، صورة الفم (= شفتين) وترمز الى حرف الرا ، لأن الفم اسم ru ، وقد استخدم هذه الصور كحروف هجاء .

استطاعوا ان يتخلصوا من الكتابة الصورية جملة . فاننا نرى في الكتابة المصرية القديمة حافظة شديدة (ذلك لأنها كانت في الأغلب وقناً على الكهنة لأنها نشأت في المعابد) ففيها الكتابة الصورية المضرة والرمزية والمقطعة والاكروفونية . أما التاجر финيقي الذي كان هـ السرعة والـ الكفاءة وـ سير الـ اعمال فـ انه جـ هـ جـاءهـ تـجـريـداً تـاماً .

(ه) الطور المجائـي الـ صـرـف ، الذي لم يـعـدـ فيـهـ لـصـورـةـ منـ معـنـيـ مـادـيـ

بل اـصـبـحـتـ الصـورـ ، اوـ عـلـىـ الـاصـحـ ماـ تـبـقـىـ منـ شـكـلـهاـ ، رـمـوزـاـ تـدـلـ عـلـىـ اـصـوـاتـ مـعـيـئـةـ . وهذاـ الطـورـ يـعـودـ الـفـضـلـ فـيـهـ إـلـىـ الـفـنـيـقـيـنـ سـكـانـ الشـاطـيـءـ الـمـمـتدـ مـنـ الـلـادـقـيـةـ شـمـالـاـ إـلـىـ الـسـكـرـمـلـ جـنـوـبـاـ إـلـىـ الـبـقـاعـ وـقـلـيـلـاـ بـعـدـهـ إـلـىـ الشـرـقـ . وهذهـ الـحـرـوفـ الـمـجـائـيـةـ اـصـبـحـتـ اـمـاـ لـكـلـ هـجـاءـ تـالـيـ بـاـ فيـ ذـلـكـ الـحـرـفـ الـلـاتـيـنيـ .

لم يـعـفـ الـفـنـيـقـيـ كـثـيرـاـ بـالـكـتـابـةـ كـفـنـ منـ الـفـنـونـ الـجـمـيـلـةـ كـاـكـانـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ الـكـاهـنـ الـمـصـرـيـ فـيـ هـيـكـلـهـ ، بلـ كـانـ هـمـ تـصـرـيفـ الـاـمـورـ الـتـجـارـيـةـ . فـفـيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ عـشـرـ قـ.ـمـ. اوـ السـادـسـ عـشـرـ (١) وضعـ ٢٢ـ حـرـفـاـ مـرـقـبـةـ تـوـتـيـبـ اـبـجـدـ هـوـزـ حـطـيـ كـلـمـنـ سـعـفـصـ قـرـشـ . (٢) وهذهـ الـحـرـوفـ هـيـ عـيـنـهاـ الـحـرـوفـ الـأـرـامـيـةـ وـالـعـبـرـيـةـ . وقدـ حـافـظـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ اـسـمـاءـ الـحـرـوفـ وـتـوـتـيـبـهاـ كـاـكـانـ عـنـ الـفـنـيـقـيـنـ ،

(١) كان يظن قبل اكتشاف نقش الملك أحيرام في جبيل (Byblos) الذي يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ق.م. ان وضع الحروف المجائية لا يتجاوز القرن الثاني او الثالث عشر ، ولكن صور الحروف في هذا النقش تفترض ان يكون زمان وضعها سابقاً للقرن الثالث عشر بضعة قرون ، اذ يجب ان يكون بين زمن وضعها وزمن أحيرام فترة تطور وصل حدودية .

(٢) كنا نعجب ، كاطفال يتطلعون الى المباء ، من هذه الاسماء التي لا اذكر ان ملها فسرها لنا . بل كان الواحد منا بعد استظهار ابـ تـ .. الخ يعود فيتعلم ابـجـدـ هـوـزـ .. الخ ، ولم اقه لها معنى حتى عنيت بدرس اللغات السامية . وقد ادعا حيرت هذه الاسماء رواة العرب الاقدمين فعاكروا حولها اساطير وخرافات كما سترى بعد .

واستعملوها للعدد (١) كما يستعملها العرب ايضاً في حساب الجمل . وكانت لستة حروف منها ، وهي التي تجمعها الكلمة « بجد كفت » لفظان (الثالث : ت ث ، والدال : د ذ ، والكاف : ك خ ... الخ) فيصبح عدد المجامات ٢٨ . وعن الفينيقيين اخذ الاغريق هذه الحروف الصامنة (٢) ولكنهم ادخلوا عليها تحسينات عظيمة بالإضافة للحروف المصوتة ، اي الحركات لأنهم اي الاغريق ، لحظوا ان هذه الكتابة التي تقتصر على رسم الحروف الصامنة دون الحروف المصوتة كتابة ناقصة ، ولا يمكن ان تشيع بين الناس ، بل نظل وقفاً على الطبقة الارستقراطية عقلاً وثقافة (٣) . اما الاغريق الديقراطيون فكان همهم ان تشيع بين الجماهير .

وقد نشأت في القرن التاسع عشر قضية اكاديمية حول اصل الحروف الفينيقية ، هي من صنع الفينيقيين ام هي اقتباس؟ وain نشأت اولاً، في فينيقيا ام في بقعة اخرى؟ ولكن هذه القضية لا تمس الجواهر الذي يسلم به كل مؤرخ: الفينيقيون هم اول من كتب بحروف هجائية صرفة ، وحروفهم هذه هي ام كل هجاء تالي .

(١) الارقام الهندية ١ ٢ ٣ ... الخ ، التي يسمى الفرنج ارقاماً عربية ، طارئة في اللغات السامية . فانهم كانوا يستعملون حروف الهجاء ، ولذا رتبوها في شكل كلمات يسهل تذكرها ، فكانت ١ = ب ، ٢ = ج ، ٣ = ح الخ الى ت = ٤ ، ثم عندما أضافوا الرواوف تأخذ صيغ اعطوها ايضاً قيمة عددية . والعرب يعطون الفضل في وضها للهند ، ولأن الفرنج اخذوها عنهم يعطوننا الفضل في هذا العمل الظليم .

(٢) تقول الاسطورة الاغريقية ان الذي علمهم الهجاء الفينيقي كان قدموس Cadmus (واسمه فينيقي = قدم = الشرق) الذي اوصله ابوه ليقتنى من اخه اوروبا (= عرباً = العرب) وهي لفظة فينية التي اختطفها زوس من على الشاطئي اللبناني عندما كانت تستعم . ولكن في تطوانه في بلاد الاغريق اوعز اليه في هيكل دلفي ان يكف عن التفتيش ويتبين عجلة ، وحيث توقف المجلة بين لفسيه مدينة يحكمها هو بنفه، كمل . وهكذا صار . وعندما استقر به المقام في مدينة اخذ يعلم الاغريق الكتابة واستعمال الآلات الموسيقية في اعياد الآلهة ، وصناعة النحاس .

(٣) يعلم كل من يلم باللغات السامية ان هذه الشعوب درجت في كتابتها على نظام رسم الحروف الصامنة دون المصوتة فجذر حروفه ق ت ل يمكن ان يؤوّل بعشرات الامكانيات مثل « قُتِّل و قَتَّل و قاتِل ... الخ . اما نشوء نظام الحركات فيرجع نسبياً الى عهود متأخرة جداً .

وها نحن نذكر باقتضاب كلّيًّا اهم النظريات التي قدّمت مع ذكر بعض المصادر (١) التي يستطيع طالب المزيد الرجوع اليها.

النظريّة المصريّة :

ويقول اصحابها ان الفينيقيين كانوا على صلة وثيقة مع مصر تجاريًّا وثقافيًّا. ولا شك انهم عرّفوا الكثير عن مبادئ خطهم ، فوضعوا حروفهم على المبدأ نفسه . واختلفوا في هل اقتبسوه عن الخط الهيراطيقي (ومعناها الكتابة المقدسة) او من الخط الديوطيقى (ومعناها خط العامة) . واختلفوا كذلك في هل ان الفينيقيين اخذوا جملة او اخذوا بعض حروفه واستنبتوا اخرى ، ذلك لأنهم وجدوا صعوبة كثيرة في ربط بعض الحروف الفينيقية بحروف مصرية . والنظريّة المصريّة قدّمت العهد اخذ بها كثيرون من المؤرخين الคลاسيكيين (الاغريق والرومان) مثل افلاطون وديودورس وبلوتوارخ وتسيلوس ، ومن المحدثين لنورمان (٢) ودي روجه (٣) وهلфи (٤)

(١) ما كتب في موضوع الهجاء ، اصله ونشأته وتطوره ، يكوّن مكتبة عامرة جداً نكتفي بذلك ببعض الكتب التي تبحث الكتابة عامّة :

DRIVER, G. R.	:	Semitic Writing, London, 1948
DIRINGER, DAVID	:	The Alphabet, New York 1948
JENSEN, HANS	:	Geschichte der Schrift, Hannover, 1925
LIDZBARSKI, M.	:	Das Alphabet, in Nordsemitischen Epigraphik. P. 173 — 194
LENORMANT	:	Essai sur la Propagation de l'Alphabet (٢) Phenicien, I. p. 85 ff.
E. DE ROUGÉ	:	Mémoire sur l'Origine Egyptienne de l'Alphabet Phenicien, 1874 (٣)
J. HALÉVY	:	Mélanges d'Epigraphie et d'Archeologie (٤) Sémitique, vol. IX (1901) p. 356

النظرية السينائية :

ومؤدّاًها ان التقوش التي عثر عليها فلنتز بترى (Petrie) سنة ١٩٠٥ في شبه جزيرة سيناء ، حيث كانت لفراعنه القدماء مناجم فيروز ، تشكّل حلقة وصل بين الكتابة المصرية القديمة وبين الخطّ الفينيقي القديم . وهذه النظرية في الواقع تتمّة للنظرية المصرية ، غير ان حلقة الصلة كانت مفقودة عند اصحاب النظرية المصرية . ويرى جلّ الذين درسوا انها الارومة التي منها استنقَّ الفينيقي القديم والسبّاني القديم . (١)

النظرية البابلية :

ويقول اصحابها (٢) ان الخطّ الفينيقي مشتق من الخطّ المساري او الاسفيني كما يسميه الغربيون (Cunus من Cuneiform) وذلك لقرب الصلات الثقافية والتجارية بين اشور وبابل وشواطئ البحر الابيض ، ولتقارب اشكال

FLINDERS PETRIE	:	<i>Researches in Sinai, London 1906 ; The Formation of the Alphabet, 1912 .</i>	(١)
ALAN H. GARDINER	:	<i>Inscriptions of Sinai, London, 1917 ; The Egyptian origin of the Semitic Alphabet, Journal of the Egyptian Archeology, 1916, III, 1-6.</i>	
MARTIN SPRENGLING	:	<i>The Alphabet ; its rise and development from the Sinai inscriptions, University of Chicago, 1931 .</i>	
KURT SETHE	:	<i>Die neuentdeckte Sinai-Schrift..., Nachrichten von der Kgl. Ges. d. Wissenschaft z. Gottingen, Phil. - hist. Klasse, 1917, 437 ff.</i>	
W. DEECKE	:	<i>Der Ursprung des Altsemitischen Alphabets aus der neuassyrischen Keilschrift, ZDMG vol. 31, 102 - 116 .</i>	(٢)
Fr. DELITZSCH	:	<i>Eine Entstehung des Aeltesten Schriftsystems 1897 .</i>	
Fr. HOMMEL	:	<i>Ethnologie und Geographie des Alten Orients, 1925 P. 96 ff.</i>	

بعض الحروف . ولكن "اكتشاف الفرنسيين سنة ١٩٢٩ مدينة اوغاريت الفينيقية (شهالي اللادقية في مكان اسمه الحالي "رأس شمرا") التي كانت مرفاً هاماً ورد اسمها كثيراً في التقوش المصرية القديمة ، جعل الناس ان يتخلوا عن هذه النظرية . فقد عثر في اوغاريت على كتابات عدة وقصائد دوّنت بالخط المساري ولكن على أساسٍ هجائي . وقد حلّت رموزها وترجمت (١)

النظرية الكريتية او الایحية :

ورأى اصحابها ان الفينيقين اخذوا خطفهم عن سكان الشمال ، بطريق كريت او قبرص ، او من جزر الایحية مباشرة ، وذلك لكثرتهم تسفارهم الى تلك الجزر للمتاجرة . وقسم يرى ان الفلسطينيين الذين دخلوا فلسطين في القرن الثالث عشر ق.م ، واحتلوا الشاطئ الممتد من غزة جنوباً الى جنوبى حيفا شمالاً (وبهم سميت فلسطين) هم الذين جلبوا هجاء شمالياً اخذه عنهم الساميون (الكنعانيون اخوان الفينيقين الى الجنوب) . ولكن هذا الزعم لا يثبت الا ان بعد اكتشاف رأس شمرا وناوس احيرام في جبيل ، اذ منها ومن غيرها يظهر ان الفينيقين كانوا يكتبون بهجاء قبل ان تطأ اقدام القبائل الایحية سواحل فلسطين (٢) .

R. P. P. DHORME : *Un nouvel alphabet semitique, Revue Bib. 4, 1930 ; Revue Bib I, 1931.* (١)

HANS BAUER : *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Shamra, Halle 1930.*

F. A. SCHAEFFER AND CHARLES VIROLLEAUD : *in Syria 1929 — 1930.*

Fr. PRAETORIUS : *Ueber den Ursprung des Kanaanaischen Alphabets, Berlin, 1906.* (٢)

LEHMANN-HAUPt : *Zur Herkunft des Alphabets, ZDMG, 1919 p. 67 ff.*

A. J. EVANS : *Scripta Minora I, Oxford 1909, p. 77 ff.*

HERMAN SCHNEIDER : *Der Kretische Ursprung des Phoenikischen Alphabets, 1913.*

النظريّة الكنعانية :

وقد دافع عنها العالم المستشرق مارك ليدساريسي في كتابه المعروف :
Ephemeris fur semitische Epigraphik, I 128 ff.

النظريّة الجبيلية :

والسائل بها موريس دينان (Dunand) الذي كان يقوم بحفريات في بيلوس القديمة (جبيل) فعثر على نقوش تشبه الميروغلوفية ولكنها هجائية لا صورية . ويعتقد دينان ان هذا الحرف هو ام المجاء الفينيقي ، وحسب نظريته يجب ايضاً ان ترجع زمن المجاء الفينيقي الى الوراء عدّة قرون اخرى .

النظريّة الفينيقية :

ويصر اصحابها على ان المجاء نشأ في فينيقا ولم يكن مستعاراً ولا مقتبساً . وكان يأخذ بهذا الرأي بعض المؤرخين الكلاسيكين مثل لوكان وبليني و كلمنس الاسكدراني .

و قبل ان نترك الموضوع يحسن بنا ان نشير الى نظرية لم تلق قبولاً عند الباحثين ، مؤداها ان المجاء اشتق من خطوط و اشارات هندسية كانت شائعة الاستعمال في جميع اخاء حوض المتوسط .

يرى القارئ من هذا العرض الموجز ان قضية اصل الحروف المجائية الفينيقية اكاديمية تاريخية تحمل كثيراً من الوجوه . اما المحقق ، وقد ألمنا به سابقاً ، فهو ان الفينيقيين وضعوا لهم حروفاً في القرن الخامس عشر او السادس عشر . ومن هذا الخط الفينيقي الام تفرع الحرف السبأي الجنوبي ، وبذا اتّقسم المجاء الفينيقي القديم ، على مر الزمن الى فرعين (١) سبأي ، ويشمل الفينيقي المتأخر ، والآرامي كما يتمثل في النقوش التدمرية والنبطية وفي نقش زنجري ، والعبري . (٢) جنوبي ، ويشمل الكتابة السبائية والمعينة والقطبانية (الخط المسند) والحبشية والصفوية والثمودية والمعيانية .

اصل الخط العربي :

وقد ذكرنا لك هذا توطئة لوضع الخط العربي في حيزه من الخطوط السامية . وهذا الخط احدثها عهداً ولكنها شاع وانتشر اكثراً من اي خط سامي آخر ، ويأتي بعد الحرف اللاتيني في اتساع الرقعة الجغرافية .

ابن نشأ هذا الخط ، وهل هو من وضع العرب ام انه مقتبس ؟ سند لك الرواية العربية ، ثم نردها بما توصل اليه البحث التاريخي الحديث .

الرواية العربية :

لن نقف بك طويلاً عند نظرية التوقيف التي تقول ان الله عَلِمَ الانسان اللغة والكتابة ، لأنها لا تستند الى العلم ولا يثبتها الواقع ، وكذلك لن نزعجك بذكر جميع الروايات المختلفة التي ينسبونها الى ابن عباس وغيره من الرواة والمخذلين ولا الى رواية ابن اسحق والواقدي والبلاذري وابن النديم والمسعودي والصولي وغيرهم^(١) ، على ما فيها من متعة ، ولكن نرّبك سرعاً ذاكرين نظرية يُصرّ التقليد العربي على توكيدها ، وهي ان الخط العربي الشمالي مشتق من الخط العربي الجنوبي ، اي المسند خط اهل سباً وحمير ، ولكن ليس مباشرة

(١) يقولون ان واضي الخط هم ايجاد او ايجاد او هواز او هواز وحاطي وكلان او كلون الخ وانهم كانوا ملوك مدين (= مدين) هلكوا يوم الظلة (سورة الشمراء الآية ١٨٩) مع قوم شعبان . وكان رئيسهم كلون وقد رثه ابنته بشمر ... وفي يوم الظلة يقول التفرن المذر : ملوكبني حطى وسفنص في الندى وهواز ارباب الثنية والمحبر ويقول اعرابي (عن القلقشندى) :

أيت مهاجرين فملوني ثلاثة اسطر متابعتا
وخطوا لي إيا جاد وقالوا تعلم سعفناً وقرنيات

جميع هذه الاخبار تجدها مكررة في الصولي ادب الكتاب الفاہر ١٣٤١ م ٢٨ - ٣١ وفي ابن النديم ، الفهرست ، طبعة فليجل ، من ٤ - ٦ ، وفي البلاذري ، فتوح البلدان (الطبعة الاوربية) ص ٤٧١ - ٤٧٤ وفي غيرهم .

بل عن طريق الحيرة والأنبار في العراق . يقول ابن خلدون ان هذا الخط الجنوبي رحل اولاً الى آل المنذر في الحيرة لما بين هؤلاء والجنوبيين من صلة القرابة ، ومن الحيرة ارتد غرباً جنوباً الى الحجاز . ومنهم من يجعل الانتقال اولاً الى الانبار ومن ثم الى الحيرة . ثم تتبسط الرواية في ذكر الاشخاص العرب الذين نقلوه من العراق الى اهل الطائف وقريش . ونحن لا نستطيع الركون الى هذه النظرية التي لا تستند الى التاريخ ، انها اقرب الى الخرافات (اعتبر مثلاً اسماء الذين نقلوا الخط الى الحجاز) . وان كان هنالك من شبه بين الخط السبأي وبين خط الحيرة فلما مرده الى ان الخطين في الاصل مشتقان من اصل واحد . ولا ننسى ان الحرف السبأي يكتب منفصلاً بينما الحرف العربي يُكتب متصلًا .

وقد تقول ، في نفسك ، ولماذا اذا ازعمت نفسك بذكر الرواية العربية التي لا ترکن اليها ؟ نحن نذكرها لا صرارها على ان الكتابة « بضاعة » استوردها العرب من الخارج ، وهي ليست من صنعهم بل اقتبسوها عن غير انهم وتعهّدوا بها بالاصلاح والتحسين الى ان وصلت الى الشكل الذي نكتب ونطبع فيه اليوم . وهذا في نظرنا هام جدّاً ، اذا ادرکه كل عربي فلا يعود يعارض في ادخال اي تحسين او تغيير في الخط ، لأن هذا الخط قد مر في اطوار عديدة يصعب معها تبيّن الشكل الاول .

ماذا يقول البحث التاریخی العلمی ؟

أخذ العرب خطهم عن الانباط ، وقد عزز هذا الرأي العثور على بضعة نقش عربية يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام كتبت بالخط النبطي المتأخر ، اهمها نقش النارة ، وهي قصر للروم في الحرة الشرقية من جبل الدروز . وقد وجد هذا النتش على قبر امرىء القيس أحد ملوك الحيرة ، ويرجع تاريخه الى

نقش المارة

نقش زمین

דָּבָרִים אֲשֶׁר־בְּנֵי־יִשְׂרָאֵל
יְשִׁיבָה־בְּנֵי־יִשְׂרָאֵל

نقش حران

لـ سـ حـلـ رـ كـلـمـوـ سـ دـ /ـ الـ مـدـ طـرـاـ
سـسـاـ بـهـ ٦٦٦٦ـسـ عـدـ مـفـسـدـ
كـلـمـاـ
عـدـ

سنة ٣٢٨ ب. م . ونقش زيد ، وهي خربة بين قنديسرين (قنديسرين الآرامية : قنال النسور) والفرات ، ويرجع تاريخه إلى السنة ٥١٢ او ٥١١ ب. م ، وهو مكتوب بثلاث لغات : الاغريقية والسريانية والعربية . ونقش حرّان في اللجا في المنطقة الشماليّة من جبل الدروز ، وهو مكتوب فوق باب كنيسة بالاغريقية والعربية (١) ونقش ام الجمال المكتوب بالاغريقية والآرامية ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٥٠ ميلادية .

الانباط شعب عربي كما يستدل من لغتهم ومن أسماء الاعلام الواردة في نقوشهم . ولكتهم عرب وقعوا تحت تأثير الثقافة والحضارة الآرامية ، فجاء خطهم آرامياً ولغتهم مزيجاً من العربية والآرامية كما يظهر من نقش النارة . وكانت عاصمتهم البطراء (سلع) ، ومنها الصخر . والبطراء اسم الروماني وهو ترجمة الاسم السامي) مر كزا تجاريأ هاماً . وكانت مداربهم تتد من سينا إلى شمالي الجزيرة العربية إلى حوران ومشارف الشام . وعندما أخذت دولة السلوقيين بالتأخر أخذ هذا الشعب العربي بتوسيع رقعته الجغرافية حتى ان في سنة ٨٥ ق. م. أصبح ملكهم حارثة (Aretas) سيد دمشق وسوريا الجبوبة (البقاع) وفي سنة ١٠٥ او ١٠٦ ب. م . خرب تراجات ملكهم . وكان للانباط ، كما يظهر من النقوش ، خط قديم وخط متأخر . وكانت خطهم القديم اشبه بالخط الكوفي تكتور فيه الخطوط المستقيمة والزوايا . وهو الخط الذي كان ينحت على الصخر او يكتب به على التقدّد . ولكن الانباط كانوا تجاريأ قبل اي شيء آخر ، والناجر لا يحفل بالكتابات كفن بل هم الكفاءة والسرعة . ولذا نشأ عندهم خط شعبي مدور لا مزوّي (٢) . والخط العربي استنق من الخط المتأخر اي

(١) راجع رسم هذه النقوش الثلاثة ص. ١٣ .

(٢) مدور ترجمة كلمة Cursive اي الكتابة التي تكون فيها اشكال الحروف منعية مقوسة . ومزوى ترجمة كلمة Angular اي فيه زوايا .

الخط المدور . ويظهر ان فترة اقتباس هذا الخط التجاري كانت بين منتصف الثالث ميلادي ونهاية القرن السادس . ورحلة هذا الخط النبطي الى الحجاز كانت من حوران الى الحيرة والأنبار في العراق في اواسط الفرات ومن ثم الى الحجاز ، او من البطراء الى العُلا – محطة تجارية في شمالي الحجاز اسماها عرب الجنوب كما يظهر من النقوش التي عثر عليها هناك او يتنفس (١) – فمدن الحجاز التجارية.

و قبل ان نترك هذا الموضوع يجب التنبيه الى خطأ وقع فيه مؤرخو العرب وهو الزعم القائل ان الخط النسخي مشتق من الكوفي . والنسخي هو الخط الذي يميل الى الاستدارة والتقويس اي هو الخط المدور . والكوفي يميل الى التربع فهو المزوري . ولكن اكتشاف كتابات على البدى وكتابات اخرى ترجع الى الفترة الاسلامية الاولى ترينا بوضوح لا يقبل الشك ان العرب منذ البدء عرفوا خطين : المدور النسخي والمزوري الكوفي والخطان نشأا معاً ولم يشتق الواحد من الآخر . والظاهر ان العرب عرّفوا الخط النبطي القديم المزوري وعرفوا الخط الآرامي المربع الذي كانت تُكتب به الانجيل . وكان يُعرف بالسطرنجيلي (اي خط الانجيل) لأن الخط المزوري فيه جلال وفيه زخرف يليق بان يحفر على المباني وان تكتب به الكتب المقدسة . واما الخط النسخي فهو الخط التجاري الذي تستعمله العامة . والظاهر ان العرب قلدوا الآراميين بكتابتهم القرآن بالخط الكوفي الذي لا نشك في ان الكوفة تمدته وجودت فيه فنّسب اليها .

ضبط الخط العربي بالنقط والحركات والضوابط :

ونعني بالنقط النظام الذي اتبع في تفرقة الحروف المتشابهة بت، ث، ج، خ،

Julius Euting : Tagebuch Einer Reise in Inner - Arabien, 1 (١)
Leiden 1896, II 1914 .

عربي قديم نقش زبد و حران نقش الزيارة بطيء متأخر

مقابلة الخط النبطي المتأخر بالخطوط العربية القديمة (ولفظون)

الخطوط الصفوية والتقويمية واللunar (Ephemeris) عن لدباري

ع... الخ والعرب سُمّوا هذا الاصلاح اعجماماً ، واعجمه اي اذهب عجمته (المهزة سالبة) . والحركات هي الفتحة والضمة والكسرة والمدّة ، والضوابط (١) السكون والشدّة والوصلة . وكم كنت اتفتّح لو ان العرب الاحياء يحددون معنى الكلمة وينبعونها ، فاننا نرى في الكتب التي تبحث هذا الموضوع : اعجم ، شكلات ، حركات ، او حروف مصوّته ، تقطيط ، وليس في هذا ضرر لو انها محددة المعنى غير متداخلة . اما نحن فنفضل هذه التسمية البسيطة – والعلم يفرض التبسيط – لأنها تتفق تماماً والواقع .

جميع الخطوط السامية المفترضة من الفينيقية كانت خلواً من النقط وحركات او من اي اشاره اخري تفرق حرف ا عن حرف او تشير الى نوعية الحركة او طول المقطع او قصره ، بل كان الكاتب السامي يكتفي برسم الحروف الصامتة (٢) التي تشبه هياكل عظمية لا حياة فيها . حياة الكلمة المكتوبة في الحركة . الحرف الصامت في نظر الفونتيكي (٣) لا يمكن لفظه بل يدل على مركز اعضاء النطق فقط . وهذا النقص المعيّب في الكتابة السامية افسد على العرب تفكيرهم من جهة كتابة الكلمة ، اذ اصبح للحروف اهمية خاصة واعتبرت الحركات امراً طارئاً . ولذا كانت قراءة النقوش السامية مدعاة لكتير من الاختلاف والتأويل . فاننا لو افترضنا ان الكلمة مركبة من «ك ت ب» ورددت في نقش سامي ، عربي او فينيقي او عبري او خلافها ، فان امكانيات قراءتها عديدة وعديدة جداً فهي : كتّب وكتّب وكتّب وكتّب وكتّب وكتّب وكتّاب وكتّاب وكتّاب وكتّاب او كتّوب... الخ .

(١) او ضوابط الكلمة تفرقة لها من ضوابط الجملة Punctuation التي سيأتي الكلام عنها .

(٢) غير انا في نقش قليلة العدد نلاحظ ، وذلك في عصور قريبة منا نسياً ، انهم كانوا احياناً يستخدمون حروف العلة الالف والواو والياء .

(٣) الذي يعني بدراسة اصوات اللغة وتقلباتها .

لا نعلم تماماً سبب استنكاف السامي من وضع رموز او حروف خاصة بضبط القراءة . اما الرواية العربية المتأخرة فتصر على ان شكل الكتابة تحظى من قيمة المكتوب اليه ، اذ قد يعتبر الامر اهانة له ، وهذا لعمري غاية في التكثف واسراف في الفتيا ! واظنها تقلل « وجهة نظر المعارضة » لان استنباط النقط والحركات والضوابط لاقى معارضة شديدة ، وها مالك ابن انس (+ 179) يمنع تقييظ القرآن . اما نحن فلنا في الامر تعليل بسيط جداً وهو ان الكتابة كانت في القديم من الصنائع المقدسة ، وكانت وقناً على كهنة المعابد او كتابة الملوك . ولو كانت الكتابة ضرورة شعبية ، في ذلك الزمن ، لوضعوا نظاماً لضبط القراءة ، ولكن الكتابة والقراءة كانت لطبقة الخاصة . ولكن عندما أصبحتا ضرورة ، او ملكاً مشاعاً نشأت الحاجة الى وضع النقط والحركات والضوابط كما فعل العبران والسريان(١) والعرب من بعدهم .

يعزو التقليد العربي ضبط الكتابة الى اناس لا يشك في تاريخيthem مثل ابي الاسود الدؤلي الذي وضع نظاماً من التقييظ لا يختلف عن النظام النسطوري السرياني ، والخليل ابن احمد الفراهيدي الذي ابدل النقط برموز اخرى هي حروف او ابعاض حروف . فالفتحة الف صغيرة ، والكسرة مقطوعة عن الياء ، والضمة او مصغرة ، والسكون قد يكون انه راس « خ » دلالة على الخلود (او خالٍ من الحركة) والمدة من مد (وفي كتابة الياد أصبحت ~) والشدة من شدّ (اي الحرف الاول ش) والوصلة من صل (اي الحرف الاول ص)

(١) نشأ عند السريان نظامان ، الواحد يعتمد النقط فوق الحرف وتحته والي يساره ، وهو النظام الذي اعتمدته ابو الاسود الدؤلي ، اذا صحت الرواية ، والآخر يعتمد الحروف المقوته في هباء الاغريق . وقد ادخلها ثيوفيل الراهوي عندما ترجم الايذانة السريانية ليبطط بها اسماء الاعلام والامكنته .

ونشأ عند العبران عدة انظمة لضبط القراءة والثائج منها اليوم الطريقة الطبرية ، نسبة الى مدينة طبريا حيث كان لليهود مدرسة دينية مشهورة عنيت بضبط اسفار المهد القديم .

ولكن الواقع اننا لا نستطيع الركون الى هذه الرواية . قد يكون هذين الرجلين يد في تحسين ما ، ولكن ، وكما يزعم مورتيس في الموسوعة الاسلامية في بحثه الكتابة العربية ، قد يكون ان بدء ضبط الكتابة يعود الى ما قبل الاسلام قليلاً ، وعندما ظهر الاسلام ونشأت عند العرب حاجة الى تعلم القراءة والكتابية شعروا بضرورة التبسيط . قراءة العربية الحالية من الحركات عملية شاقة فكيف بها اذا كانت خالية من التبسيط ايضاً . وإدخال المدرسين في القرن الاسلامي الاول كانوا يتآفون من صعوبة تعلم العربية كما يفعل مدرسو اليوم . فلا عجب ان يكون الاصلاح قد تناول الخط العربي في فترة سابقة للخليل .

مشاكل الخط العربي :

ونجملها في اربع (ا) شكل الحروف ، تشابها وتفير اشكالها (ب) خلوها من الحركات والضوابط (ج) قواعد كتابية (د) صعوبة الطباعة ونفقاتها .

(ا) شكل الحروف ، تشابها وتفير اشكالها :

من جملة الشروط التي يجب ان تتوفر في حروف الم Hague المثالية ٣ اساسية :

- (١) ان يكون لكل صوت من اصوات اللغة رمز واحد اي حرف واحد . وهذا ما لا نراه في اية حروف هجائية حتى في الانظمة الهجائية التي يضعها العلماء والجمعيات العلمية ، فانك تجد مثلاً *kh* تمثل *خ* . وفي الانكليزية *sh* تمثل *ش* و *th* تمثل *ثاء* ، وعندهم *CKQ* للفظ واحد . وجميع هذه عيوب .
- (٢) ان تكون اشكال الحروف متباعدة مترابطة كي لا يقع القارئ في التباس .
- (٣) ان لا تغير اشكال الحروف بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذا توفرت هذه الشروط الاساسية مضافاً اليها جمال الشكل وتناسبه يكون لدينا هجاء مثالي .

اذا قسنا الحروف العربية بهذه المقاييس نجد ان الشرط الاول يتوفّر في

الحروف العربية ، فهي من هذه الناحية تفوق الحروف الانكليزية مثلاً ، لأن لكل حرف عربي صوت واحد ، وبمجموعها يفي باصوات اللغة . أما اذا قسناها بالشروطين الثاني والثالث نجد ان كثيراً من الحروف العربية قريبة الاشكال مما يوقع القارئ في كثير من الوهم ، واسكلها تغير بالنسبة الى موقعها من الكلمة . اذكر اني كنت مرة اقرأ مع طالب اجنبي يدرس عليّ العربية فورد في جملة هذه الكلمة « بتثبتنا من ... » فتوقف الطالب وقال : اين الحروف في هذه الكلمة فاني لا ارى الا نتوءات عليها نقط ؟ قلت له اقرأ النقط لاننا نقرأ النقط ! فضحك . ولكنه الواقع اذ ان بـ ثـ يـ نـ في بدء الكلمة ووسطها تختفي ويقوم مقامها سـ نـ عليه نقطة او اكثر . وقد عجبت وانا اقرأ كتاب عبدالعزيز فهمي باشا « الحروف اللاتينية للكتابة العربية » القاهرة ١٩٤٤ ، من اصرار الذين ردوا عليه بان هذه ظاهرة حسنة في الخط العربي لانه خط اخترالي ، والعالم يسير نحو الاختزال (كما يقول كامل الجادجي) . ولكنه تشبيه فيه اسراف . ليس الاختزال مدعاه للمباهاة . انا افهم الاختزال انه ضرورة تجارية طارئة ، فيها كثير من التعسف والاعتباـط ، والغاية منها ت توفير الوقت بين رئيس ومرؤوس ، وبين مدير وكافة سره ليس الا . اما الكتابة فليجتمع الناس وشرطها الاساسي الوضوح والسهولة ، لا ان تكون رموزاً واحاجي .

وتناسب المزدوج في أحجامها يزيد في جمال الخط . أما في الحرف العربي فالتناسب الهندسي معدوم ، بعضها صغير ، وبعضها الآخر كبير . منها ما يعلو عن الخط المستقيم ، ومنها ما ينحدر عنه . وادهى من هذا أن العلو والانخفاض لا يتمشيان حسب قانون . فالخطاء وأخواتها تنحدر أكثر مما تنحدر الراء ، والكاف تعلو عن الخط أكثر مما تعلو سائر الحروف . وقسم منها إذا صغرناها فان بعضها يتلاشى . ويمثل نصري خطأ على هذا بكلمة « كلام البصر » يقول اذا اردنا ان نصغر الحرف نسبياً فاننا نصل الى درجة تختفي معها اللام والباء او يصبح الواحد

وقد تعجب لهذا الرأي لأنك اعتدت سماع عكس هذا، من ان الخط العربي جيل يغير نفسه للزخرف . والعرب جعلوا من الكتابة اليدوية فناً رائعاً . أما نحن فنعتقد ان هذا الفن الذي ابدعوه في الكتابة لم يكن سوى محاولة لاخفاء القص والعيوب البازار في الخط العربي . ونحن لا ننكر انه فنٌ ولكن فنٌ لغطية ما ليس فيه فن . ونزيد بان هذا الفن اصبح فيه من التكلف ما جعل من الكتابة صوراً للخدس والتخيين ، والكتابية ليست لفن ، ولن يست للتخمين والخدس . الكتابة لنقل الفكر .

(ب) خلوها من الحركات والضوابط :

والحركات ، او الحروف الموصولة ، هي الفتحة والكسرة والضمة والمدّة ، والضوابط هي الشدة والوصلة والسكون . وقد قلنا سابقاً ان الكتابة السامية القديمة كانت تتجه الى رسم الحروف الصامتة للكلمة ، وتتركباقي القارئ . ولم تشد الكتابة العربية عن هذه القاعدة . فقد كانت في يوم من الايام تكتتب خالية من التقطيع ومن الحركات ومن الضوابط ؛ ولكن عندما نشأت المدرسة ، وعندما شاع العلم ، شعروا بضرورة تسهيل القراءة فأضافوها (١) .

الحقيقة هي ان الكلمة العربية هيكل عظيم لا حياة فيه ، وقد ألف العرب رؤية كتابتهم خالية من الحركات حتى فاتهم ان الحركة (Vowel) جزء حيوي من الكلمة . الجذر « ق ت ل » افتراض لا وجود له الا في رأس الفيولوجي ،

(١) ظهر اولا التقطيع للفرق بين حرفين يتشابه شكلهما كالباء والباء . وكانت المزة تكتب ب نقطتين او ب نقطة كبيرة جداً يختلف عن المداد الذي يكتب به الكاتب . ثم ظهرت الحركات والضوابط . وعندما لم يكن النص محركاً كان الكاتب يقول: باءة المثناة ، او اخت الصاد او الطاء ، او بكسر الاول وفتح الثاني وتسكين الثالث... الخ او كان يقول هي وزان كذا ، على ما تجد في كتب السير والرحلات والجغرافيا .

ولكنه يصبح الكلمة ذات معنى اذا قلت قَتَلَ قَتِيلَ ، قاتِل ... الخ فكأن الكلمات السامية ، ومن جملتها العربية ، صورٌ ورموزٌ تذكِّر القارئ بكلماتٍ قائمة في الذهن . وهذا معنى قولنا (واظنه لاحمد قاسم امين) ان الناس يقرأون ليفهموا ، اما نحن فيجب علينا اولاً ان نفهم لنقرأ !

قد يكون لهذا النوع من الكتابة مبرر عندما كانت الكتابة ، كما المعا سابقاً ، لنفري من الناس ، ولكن اليوم ، والعلم مشاع ، والحكومات تسعى حيثما للقضاء على الامية ، لا نرى له مسوّغاً . قد تقول : ولكن لدينا حركات وضوابط . غير ان هذه لم تحلّ المشكلة لأن كتابة اليد ، وجل ما تخرج به المطبع (باستثناء كتب المدرسة) يظهر خالياً من الحركات والضوابط . فتظلّ القراءة الصحيحة التامة وفقاً على من قضى عمره متيحراً في اسرار العربية . اما الكثرة الكثيرة منا فتفق امام « يفعل » حائرة تُعمل الفكر في التثبت منها ، اهي يَفْعِلُ « او يَفْعَلُ » ، او يَفْعَلَ « (٦ امكانية !) . وهذه الكلمة الصغيرة « قد » قد تكون قد او قد او قد او قد (١) ! وعوضاً عن ان يركِّز القارئ انتباهه في معالجة المعنى واستيعاب الفكرة تتجه حائز البصر ينظر الى فوق الكلمة والى تحتها والى ما بعدها فكأن عليه ان يتخيّل المعنى تخيّلاً . واخيراً يتوصّل القارئ البارع الى القراءة الصحيحة ولكن من؟ واما اطفالنا ، اطفالنا الذين لا يستطيعون ان يستدلوا بالقرينة ، ولا ان ينظروا بعيداً الى الكلمات التالية ، فانه لهم ان يقرأوا قراءة صحيحة (٢) ؟ لن نطلب الكلام في موضوع صعوبة القراءة العربية والزمن الذي يحتاج اليه الولد العربي لانقاذها لانه امر مفروغ منه يسلم به كل من مارس مهنة التعليم ، وكل أب حاول

(١) قد تقول ولكن القرينة ، او ما بعد اللفظة يعيننا على القراءة . وهذا صحيح ، ولكن في الامر مشقة على الصغير والكبير . وهذا معنى قولنا انا يجب اولاً ان نفهم لنقرأ !

(٢) يتقدّر فريق من اساتذة الجامعة الاميركية بقصة ولد قرأ لفظة « فستكون » فـ « ستكون » !!

ان يساعد ولده : وما دام العرب جادين مخلصين في القضاء على الامية عليهم ان يعيدوا النظر في اصلاح خطهم .

(ج) قواعد كتابية

وما يعقد الخط العربي ، وبالتالي يزيد في صعوبه القراءة ، بعض القواعد الكتابية التعسفية . وهذه ظاهرة لا نشكوا منها نحن وحدنا ، فهولاء الانكليز يصرون على تهجئة Through بهذا الشكل التاريخي رغم الحاج الامير كان بكتابتها على Laf . ولكن هذا لا يقاس بما يعانيه اطفالنا في الاملا العربي . ومن هذه القواعد المقدمة المميزة على نوعها القطع والوصل (١) وطريقة كتابتها . وهناك أول التعريف الداخلة على الحروف الشمسية وما تسببه من الارتباك في القراءة ، فقد قال لي ولدي ، رضا ، ان كلمة « فاللُّغُم » فيها ما يجب حذفه ! وهذا ما قاله لي آخر ونحن نقرأ « عَلَى الِانتِفَاح » . وعندنا نوعان من الألف الطويلة والمقصورة ، وحروف تلفظ ولكنها لا تظهر كتابة كما في دارد وهذا وابراهيم ، وحروف تكتب ولا تلفظ كالألف بعد واو الجماعة والالاف في الاسم المتصوب المنون والياء في « في » في مثل قولنا « في البيت » . واذا لم يكن النص محر كماً فلا سبيل لمعرفة الحرف المضاعف . جمجم هذه وغيرها يمكن تبسيطها ، ولنا في كتابة القرآن الكريم ما يشجعنا على هذا ، فان الفاظاً عديدة تكتب في القرآن الكريم (٢) بشكل ، بينما يكتبه الناس اليوم بشكل آخر ، ولا نظن ان احداً يقول بان هذا التبسيط مس جوهر القرآن الكريم بشيء .

(١) راجع رأيا لنا في المهمزة وكتابتها في علة الابعاد المد الرابع ، السنة الرابعة ص . ٣٩٢

(٢) في القرآن كملات عديدة جداً تكتب على غير الهاء التي نكتبها نحن مثل : رحن ، مسجد ، مساجد ، كتب (كتاب) ، ارسلنك ، صائب ، كفرن (كافرين) ، ابراهيم ، ارهبون ، يعباد (يا عبادي) ، وغيرها . ولكن هذه وامثلها من شنوذ لا تؤثر بالجوهر ابداً هي عرض .

(د) صعوبة الطباعة ونفقاتها:

اللهم : مددنا بالآيات بعد ما نجهل منك .

اللون : ن ت ذ ن ذ غ ف م ن ن ب ج ن ح ن خ ن ن ن م ن و ن ي ف ي

وليست هذه جميع المركبات الممكنة فقد تجد أن بعض المطابع تبني مركبات أخرى لا تجدها هنا في هذه القائمة ! وإذا أردنا أن نشكل هذه الحروف، أو المركبات من الحروف ، فتحاً وكسراً وضماً وتسكيناً نلجأ إلى واحدة من طريقتين : إما أن نضيف هذه الحركات على «امهات» (في مصطلح الطباعين إمابة = أم) ، وهي الجديدة التي في رأسها قالب الحرف) منفصلة نضعها فوق الحرف أو تحته. وهذه الطريقة ، مع أنها أسهل وأقل نفقات ، تخلق كثيراً من المشاكل القرائية ، ذلك لأن هذه الحركات قد لا تقع في المكان الذي تريده من

الحرف ، كان تأتي الفتحة قبل الحرف قليلاً او بعده قليلاً ، وذلك لصعوبة طبيعية لا مفر منها . والطريقة الثانية ان نسكن الحركة مع الحرف في « ام » واحدة . فتظهر الحركة في المكان الذي تريده من الحرف . ولكن اذا فعلنا هذا علينا ان نضرب عدد حروف الوسط فقط بخمسة (ذلك لان الحرف الاول والحرف المتطرق يمكن اضافة حركة منفصلة) فيرتفع عدد النادج التي مثلنا لك بها الى ما يقرب من خمسة اضعاف .

وإذا سألت طباعاً عن اسعار الطبع قال لك : الكلام على حرف مشكل او حرف بدون شكل ؟ لأن نفقات المشكل تبدو على نفقات غير المشكل نسبة لزيادة العمل . صفاف الحرف اللاتيني (ولكن اليوم لا يصفون الحروف بل يستعملون طريقة اللينوتيب) يعالج حروفه التي تكون في قرابة ٣٠ خاتمة . أما صفاف الحرف العربي فاما مهه بضع مئات من هذه الخاتمات .

ضوابط الجملة (Punctuation)

و قبل ان ننهي الكلام عن صعوبة الخط العربي يجدر بنا ان نذكر شيئاً عن ضوابط الجملة ، وهي التي يسمى بها بعض علامات الترقيم (ولا ادري لماذا !) ويسمى بها البعض الآخر علامات الوقف ، او علامات الاملاه ، اما نحن فنرى انها علامات لضبط الجملة من جهة القراءة . و معلوم ان الخط العربي خلو من هذه العلامات وهي ضرورية جداً جداً ، و تعيين القارئ ، كبيراً كان او صغيراً ، على تفهم المعنى .

وعندنا ان اقتباس العلامات الفرنجية هو افضل طريقة ولا سيما لانها تقريباً موحدة في اللغات الاوربية . وهي علامة الوقف (.) وعلامة السؤال (?) وعلامة التعجب او التأثر (!) وعلامة الاقتباس او التنصيص كما يسمى بها البعض (« ») وعلامة الحذف (....) والفاصلة (،) وهي لوقف الجزئي ، وخطان

للحجنة المعتبرة او التفسيرية ، وعلامة لما يتلو (: -) والقوسين () لعبارة او لفظة لا تشكل جزءاً حيوياً من الجملة بل تكون بدلاً او تفسيراً . ونحن نرغب في ان نرى كتبنا العتيدة مطبوعة على هذا الشكل .

حل مشكلة الخط العربي :

قد يكون ، في نظر القارئ ، بحث 'اصل الخط ومشاكله من الامور الثانوية اذا ما قيست بالوجهة الايجابية : ما العمل ؟ وكيف تلافى هذه الصعوبات ؟ وكيف 'تخل' المشكلة ؟

لم تعد مسألة الخط موضع شكوى وتذمر من الاساتذة والطبعاءين ، بل تعدت هذا النطاق الى الجامع والهيئات العلمية التي تعنى بالثقافة . ومن الخير ان يبحث تيسير الخط على هذا الصعيد ، لأننا نعتقد مخلصين انه منها بذل الافراد من جهود في هذه النواحي فستظل " كصرخة في وادٍ . ولكن عندما تعاملها هيأة لها وزنا ، ولها كلامها في العالم العربي ، يمكن لكلماتها وقع في العالم العربي . واننا تتطلع الى اليوم الذي يقول فيه مجمع فؤاد الاول اللغة العربية في القاهرة كلمة الاخيرة في الموضوع ، لأن امر تيسير الخط موضوع على بساط البحث ، وقد قدّمت اليه اقتراحات عديدة ، لم ينظر في كثير منها لبعدها عن التيسير ، ولكنه بحث بعضا . وهناك جائزة مالية كبيرة لمن يقدم احسن اقتراح حل المشكلة .

وقبل ان ندلي برأينا المتواضع نحب ان نطلعك على خلاصة ما دار من ابحاث وما قدّم من اقتراحات لتكون انت لنفسك وأيضاً خاصاً . وعندما نعرض المشاكل الفكرية والاجتماعية عرضاً علمياً ، وعندما يتكون رأي عام ، عندئذ فقط نستطيع ان خطو الخطوة التالية وهي التقرير ثم التنفيذ . العيب في جميع مسائل الفكر في العالم العربي انها تبحث على صعيد عالٍ ، من فرق ، ولا تبدأ من تحت ، من الماهير . وغرضنا من هذا العرض السريع ان نطلع

الباحثين على المشكلة ، وما يدور حولها ، كي يتكون رأي عام تستثير به المياه التي لها القول الفصل .

وانت لا يهمك ان تعرف اسماء الاشخاص الذين قدموا اقتراحات بقدر ما يهمك ان تعرف شيئاً عن هذه الاقتراحات . يمكن حصرها في ثلاثة فئات :

(أ) فئة يرى اصحابها ابقاء القديم على قدمه . يقولون ان هذا الخط اناوجد لهذه اللغة فلا يناسبها خط آخر . فضلاً عن انه خط جميل اخترالي " بشكله ، ويعبر نفسه الكتابة الزخرفية . ولكنهم يسلّمون بأنه خط ناقص ، ولكن السلف الصالح سدّ هذا النقص بالتنقيط والحركات والضوابط ، فهم يقترون ، منعاً للالتباس ، وتسهيلآ للصغار ، ان تطبع الكتب وال مجلات والجرائد بحركة . ثم يضيفون امراً آخر هاماً - ونحن نوافقهم في هذا - وهو تحسين اساليب تدريس اللغة وتحبيبها الى النشء الصغير . يقولون ان في كل لغة صعوبة ملزمة لها ، وفي كل لغة شواذ ، والتعلم مراسٌ وضبط نفس ، فلا ينتظرون الصغير ان تأتيه اللغة عفواً دون بذل مجهود .

(ب) فئة يرى اصحابها تيسير هذا الخط . وهم ينقسمون الى فترين ، فئة ترى رسم الحركة مع الحرف كما هو الحال في الحرف الجبشي . في الجبشية لكل حرف ٣ اشكال مع الفتحة والضمة والكسرة . وفئة تُيسّر الخط وتضيف الحركات على نحو ما هو جاري الان . واحسن مثالٍ على تيسير الخط - واقر بهم الى التيسير - الابجدية الموحدة للسيد نصري خطّار (١) . فقد ابقي على شكل الحروف العربية (القريبة الى السكونية) وجعلها مقصولة ، وبذلك سهل امر الطباعة (كما اسلفنا) وسهل على الصغار تعلّمها بسرعة . ولكن من ينظر في غيرها من مقتراحات التيسير يشعر انها اقرب الى التعيسير منها الى التيسير . فهنجاء على الجارم ، الذي نظر فيه المجمع ، لاقى مقاومة عنيفة على اساس انه يعتقد

(١) راجع مقالاً لنا عنها في مجلة «الكلية» عدد آذار ١٩٥٢ .

الكتابة ويستلزم معرفة قواعد عدّة . ونحن ، عوضاً عن ان نبين سلبياتها او محسنتها ، فقد وضعنا امام القارئ بعض نماذج (راجع الرسوم) ولا شك انه يوافقتا على أنها قصيحة وعلى ان الخط القديم ، قبل هذا التيسير ، اجمل وابسط !

لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ وَالْمُلْكُ مُهِلْكٌ
فَإِنَّ رَبَّهُ إِلَّا إِلَهٌ مُّنِيبٌ

اقتراح حسين منصور

(ج) وفته ترى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني على انه احسن حرف لتأدية الالفاظ ، ولا سيما اذا ادخلنا عليه بعض التعديلات ، كان يستغنى عن امثال th التي تقلل ث و sh = ش ويستعاض عنها بحرف واحد . ومن القاتلين بهذا الرأي عبد العزيز فهمي باشا . وقد وضع اقتراحه موضع البحث . وكان له مريدون ، وكان له معارضون . وقد رد عليهم في سلسلة مقالات جمعها ونسقها بعدئذ وطبعت في كتاب واحد المعنون به (١) . ونخب ان يطلع عليه كل من له في الامر لذة .

(١) المروف اللاتينية لكتابه العربية ، القاهرة ١٩٤٤

وانت اذا نظرت في ردود المعارضه لوجدت الكثير منها ما هو مردود، لانه بعيد عن النطق، كقولهم انه اخترالي (وقد بيتنا فساد هذا الرأي) وانه جميل، وانه احسن خط يلائم اللغة العربية، وما اشبه ذلك، غير ان الاعتراض

(٢) خير البر ما تعهد به الى نفسه، وخير بره النفاسه أن ترمي بها منها عن مواقف الاعتداء

السيافه أبعد قه إنها عالم من الكاذب

في حدّه الحمد لله رب العالمين

اقتراح على الماجرم . خير البر ما تعهد به المرء نفسه وخير بره النفس ان ترمي بها عن مواقف الاعتداء . السيف اصدق اياته ..

لَمْ يَلِمْهَا رَجُلٌ فَهُوَ يَلِمُهُ
بَعْدَمَا رَجَلٌ يَمْنَى بِطَرِيرِهِ
أَسْلَدَهُ عَلَيْهِمُ الْعَدْسَهُ
أَقْتَلَهُ عَلَيْهِ الْعَكْسَهُ

اقتراح سليمان محمد سليمان

لَجَاهَتْ لِهِنْفَهِيْرْ لِسْتَرْهَمَهْ هَرْهَلْهُيْرْ
رَهْهَهْ لِنَفْهِيْرْ فَاهَهَهْ هَهْهَهِيْرْ

اقتراح محمد شيت الحباوي

الذى عمل عبد السيف في مقترن عبد العزيز فهى هو ان هذا الخط يفصلنا عن ميراثنا الأدبي والديني . ماذا يحدث للقرآن ؟ وماذا يحمل بالمكتبة العربية الادبية

والتأريخية؟ وهو لعمري اعتراف جري بالدرس. أما عبد العزيز فهذا يقول
ان الامر ايسراً لما يتصوره المعارضون المترددين: بضعة ملايين من الجنسيات
تكتفي لاغادة طبع كل ما هو حري بالبقاء بالحرف اللاتيني وحرق او اهمال ما
لا قيمة له. ويقول انها فرصة سانحة للتخلص من كثيرون من الفت. وهذه
الملايين القليلة ليست شيئاً بالنسبة لما نوفره من المال في الطباعة، ناهيك عن تقليل
عدد السنوات في تعلمها.

أَبْرَعُ الْأَنْوَارِ
مَاطِرٌ
خَفِيفٌ

٦٥

الأبجدية الموحدة وضع نصري خطأ

ولاشك ، بعد ان وصلنا الى هنا في بحثنا ، انك تحب ان تعلم رأيي . من دراستي المستعجلة لجميع هذه المقترنات لا ارى سوى اثنين : (1) الابجدية الموحدة ، هنا اذا لم تزد ان تكون طفترنا قوية ، واذا لم تزد ان تتساازل

عن خطنا (٢) الحرف اللاتيني مع التعديلات التي اقترحها عبد العزيز فهبي . و اذا
خيت ، او اذا وضع الامر لل تصويت فانا مع الحرف اللاتيني ، لاني لا ارى
حلأ لمشكلة ما لم تحرّك الكلمة وما لم يضبط لفظها وشكلها . والحرف اللاتيني
يستطيع هذا .

Exprest birri mā tarzħħadu bi hukk - (٣)
marsu nafsa lu, wa iż-żayru birri l-nafsa an-
tarbasa bikhā ran mawqif il-ktidar.
Al sayfu aq-dagu imbāsan min l-kustabi
fieg zaddi hi l-zaddu bayra l-riddi wa il-liebe
اقتراح عبد العزيز فهبي باشا . خبر البر ... البيف اصدق انباء ...

ولكنني اكرر ان وجهة نظر فرد لا تؤثر كثيراً في هذه الناحية الحساسة .
ولكل بحق لكلٍّ منا ان يُبدي وجهة نظره لا ان يفرضها . تحمل هذه المشاكل
اذا ارادها المجموع الاكبر .

ولكن الحياة تسير مسرعة ، ومن لا يواكبها تخلفه يتسلّك في المؤخرة . اللغة
ليست لنا ، لأننا زائلون . بعد نصف قرن يوت كلٌّ من سيقرأ هذه المقالة (الا اذا
قرأها الاحداث ولا اخالم بفاعلين) ولكن اللغة ستبقى الى ماشاء الله . فعلينا
ان نأخذ بعين الاعتبار هذه الاجيال المقبلة التي لا يعرف عدّها الاربتك واجد الوجود .
وفي التاريخ الاسلامي والفقه الاسلامي من المرونة والليونة ما يشجع على
الاقدام على الصالح السنافع . الا يقولون : « الفضورات تبيح المحظورات »
و « درء المفاسد اولى من جلب المصالح » وما قولك في مبدأ « الفضل يُزال » ؟



01265528

CA:AUB:492.7:F847hA

• فريحة

حروف الهجاء العربية : نشأتها ، تطورها ،
مشاكليها •

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
12.28.92	17 DIVISION		

CA
AUB
492.7
F847hA